الدكتورة: أحلام يوسف

جامعة 8ماي 45 قالمة

أستاذ محاضر ب

البريد الإلكتروني :ahlem.histoir@gmail.com

الملتقى العلمي الوطني: صورة الشرق في ضوء الدراسات الاستشراقية ــ الحيادية والتجاوز ــ

محور المشاركة: المحور الأول: الاستشراق مفهومه ومدارسه

عنوان المداخلة: ظاهرة الاستشراق: دراسة في المفهوم والدوافع

الملخص: عرف العالم عبر المراحل التاريخية كثيرا من المتغيرات نتيجة مختلف الصراعات التي ميزت مسيرة المجتمعات الإنسانية، ومن هذه المتغيرات الفكرية ظهر الاستشراق كناتج فكري غربي، وهو ظاهرة قديمة بدأت منذ القرن العاشر الميلادي، يعنى بدراسة تاريخ العرب وحضارتهم عامة والشرق الإسلامي خاصة، حيث بعد انتهاء الحروب الصليبية اتجهت أنظار الغربيين لدراسة الحضارة الإسلامية، واتخذوا من الاستشراق منطلق لأهدافهم، وعلى هذا الأساس جاءت مداخلتي الموسومة ب ظاهرة الاستشراق: دراسة في المفهوم والدوافع

مقدمة:

مثل الاستشراق تيارا فكريا في الدراسات المختلفة عن بلاد الشرق والبحث عن علومه وعقائده وآدابه وثقافته فأسهم في صياغة التصورات الغربية على العالم العربي والإسلامي، واحتل حيزا مهما من تاريخ البشرية ومن الحياة العربية الإسلامية، وكون عبر مختلف الحقب والأزمنة معلما رئيسيا في مجال الثقافة والأدب ونظرا للأهمية البالغة لهذه الظاهرة وأبعادها الفكرية التاريخية وتأثيرها على ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا أخذ هذا الموضوع حيز كبير من اهتمام العلماء في العالمين الإسلامي والغربي.

وقدشهد العالم عبر المراحل التاريخية كثيرا من المتغيرات نتيجة مختلف الصراعات التي ميزت مسيرة المجتمعات الإنسانية، فكان لابد من إيجاد سبيل للتواصل مع الآخر، وهذا التواصل إما يكون بغية الحوار أو يكون بغية التحكم والاستعمار، من هنا ظهر الاستشراق كناتج فكري غربي وهو ظاهرة قديمة، بدأت منذ القرن العاشر ميلادي، يعنى بدراسة تاريخ العرب وحضارتهم عامة والشرق خاصة، وهذا من خلال ما يتميز به من منارات علمية وثقافية وأدبية والتي قام بتأريخها مجموعة من العلماء عبر العصور.

فقد تطرق الاستشراق إلى جميع مناحي الحياة الشرقية والإسلامية ولم يدع مجالا إلا أدلى فيه، فالحقيقة يعتبر الاستشراق من الأساليب الاستعمارية التي يعتمد عليها العالم الغربي إلى جانب الأساليب المسلحة والأساليب الأخرى والتي كانت تهدف لبسط السيطرة على الشعوب المستعمرة وطمس هويتها، حيث انصبت اهتماماتهم على دراسة النصوص التراثية التي تزخر بها المكتبات الشرقية، وخاصة أنها تعتبر بمثابة الصورة الناطقة لشتى مناحي الحياة الثقافية والأدبية والاجتماعية والسياسية والدينية

إن الخوض في هذا جعلنا نفكر في ضرورة إعطاء المزيد من الأهمية لدراسة هذا النوع من الدراسات، فالاستشراق ظاهرةتاريخية معقدة تنوعت دوافعها عبر القرون وتباينت حسب المراحل التاريخية ، وقد جاءت هذه المداخلة لمعالجة هذه الظاهرة من ناحية المصطلح والبحث في الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة تحت عنوان: **ظاهرة الاستشراق: دراسة في المفهوم والدوافع**

إن الاطلاع على الاستشراق ومناهج المستشرقين يعد ضرورة ملحة لكل باحث متخصص لإدراكه بالساحة الفنية التي يتعامل معها، وبالخلفية الفكرية للصراع الحضاري مع الآخر وانطلاقا من هذا اخترنا موضوعنا الذي سلطنا الضوء فيه على النقاط التالية:

المحور الأول: ماهية الاستشراق، المحور الثاني: السياق التاريخي لظاهرة الاستشراق، المحور الثالث: دوافع الاستشراق

المحور الأول: ماهية الاستشراق

أولا: لغة: إن كلمة الاستشراق مشتقة من مادة شرق، حيث يقال شرقت الشمس، تشرق شروقا إذا طلعت، واسم الموضع المشرق، ونقول شرق: أخذ في ناحية الشرق(منظور، د ت)، فللكلمة لم ترد في المعاجم العربية القديمة المختلفة، وهذا يعني أن كلمة استشراق حديثة استعملها المحدثون من ترجمة كلمة Orientation ثمصاغوا الفعل المزيد اسم وحددوه بالاستشراق في اللغة الأجنبية مرادفا في الفعل العربي ، فقالواسشرق (الحسني، 1967)، فالجدير بالذكر أن الكلمة بمفهومها اللغوي لم ترد في المعاجم العربية القديمة المختلفة(تاج، 2014)، أما Orientaliste المستشرق فتعني عالم متخصص في اللغة والآداب وغيرها الخاصة بالشرق والشرق الأقصى(Magor, 2006)

أما وجود كلمة الاستشراق في المعاجم الحديثة ، فقد وردت بمعنى العناية والاهتمام بشؤون الشرق وثقافته ولغاته (مختاري، 2008)، فقد ورد هذا الفعل في بعض المصادر اللغوية الحديثة حيث نقول استشرق: طلب علوم الشرق ولغاتهم، وتقال لمن يعني بذلك من علماء الفرنجة، وأن السين والتاء أزيدتا في الكلمة قصد الطلب مثل استغفر معناها طلب الاستغفار، واستنصح طلب النصيحة، وبهذا فالاستشراق هو طلب علوم الشرق وآدابه (رضا، 1954)، وأن الفعل استشرق ليس له مرادفات في اللغات الأجنبية، وأول استعمال لكلمة مستشرق في الغرب كان سنة 1630م، حيث أطلق على أخد أعضاء الكنيسة اليونانية (سمايلوفتش، 1998م)

ثانيا:اصطلاحا:

الاستشراق هو اتجاه فكري يعنى بدراسة الإسلام والمسلمين ويشمل ذلك كل ما يصدر عن الغربيين من دراسات تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة والسنة والشريعة والتاريخ، وغيرها من مجالات الدراسات الإسلامية الأخرى (الأشرف، 1437هـ/1438م)، فالاستشراق مرتبط كل الارتباط بالموروث التاريخي للشخصية الغربية في نظرتهم العربية والإسلامية حيث عرفه ادوارد سعيد بقوله:" إن الاستشراق هو أسلوب في التفكير مبني على تمييز متعلق بوجود المعرفة بين الشرق والغرب"(Said, 1979)

ويذكر أحمد حسن الزيات عن الاستشراق: " دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره، ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين ودراسة العربية لصلتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه

إلى أقصاه مغمورا بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية والعلم، كان الغرب من بحره إلى محيطه يعمه في غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجموح"(الزيات، 1912)

وقيل : الاستشراق لفظ أطلق على تلك المحاولة التي قام بها بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافة الشرق وعلومه (الثقفي، صفحة 1069)

وقد أخذ مصطلح الاستشراق نصيب واسع من تعاريف الغربيون فعرفه سمايلوفتشبأنه : " هو انشغال غير المسلمين بعلوم المسلمين، بغض النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية" (سمايلوفتش، 1998م، صفحة 12)

وعرفه المستشرق الألماني رودي بارت بأنه:" علم يختص بفقه اللغة خاصة، وأقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي يطلق عليه كلمة الاستشراق مشتقة من كلمة الشرق وكلمة الشرق تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم عالم الشرق" (بارت، د ت)

وبهذا فهو العلم الذي يدرس لغات شعوب الشرق وآدابهم وتاريخهم وآثارهم ومعتقداتهم ومجتمعاتهم وأراضيهم وثرواتهم (فوزي، 1998)

وعليه فإن العلاقة وثيقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي، فقد أطلق على الدراسة التي تعنىبالعالم الشرقي مصطلح الاستشراق، وأطلق على الغربيين الذي يقومون بتلك الدراسات بالمستشرقين وهم جماعة من المؤرخين والكتاب الأجانب الذين خصصوا جزءا من حياتهم في دراسة وتتبع المواضيع التراثية والتاريخية والدينية والاجتماعية للشرق (فوزي، 1998، صفحة 30)

ومما سبق نقول أنه بالرغم من التباين في تحديد مفهوم الاستشراق بصورة ثابتة إلا أن المدلول الشامل لهذا المفهوم هو دراسة الشرق ومعرفته، وهو الجامع المشترك في كل الآراء التي تناقلت الاستشراق وتبينت معطياته ومجالاته.

المحور الثاني: السياق التاريخي لظاهرة الاستشراق

تباينت آراء الباحثين والعلماء حول تحديد دقيق لبداية ظاهرةالاستشراق، والذي يهمنا هو تاريخ بداية الدراسات العربية الإسلامية وتتبع مراحلها على مر التاريخ والتي عني بها الأوروبيون، ويتجه أغلبها إلى أن الاستشراق بدأ في غزوة مؤتة بين المسلمين والروم سنة 8 هـ/629م (ساردار، 2011)،

لكن لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية، وفي أي وقت كان ذلك، ولكن هناك من يرجع بداية الاستشراق إلى المحاولات الفردية للرهبان الغربيين الذين قصدوا الأندلس أواخر القرن الرابع هجري/ العاشر ميلاديإبان عظمتها ومجدها وتثقفوا في معاهدها وجامعاتها، وترجموا القرآن الكريم والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على يد علمائها المسلمين في مختلف العلوم خاصة في الفلسفة والطب والرياضيات (تاج، 2014، صفحة 2).

وبعد عودة أولئك الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم فأسست المعاهد للدراسات العربية، وكثر إنشاء الجامعات في الغرب فتم تأسيس أول جامعة في أوربا الوسطى في كراكو من مدن بلندا سنة 1361م، وبعد أربع سنوات أنشئت جامعة فيينا وهي أول جامعة ألمانية (عبادة، صفحات من تاريخ الاستشراق، 1960)

بينما يرجعها البعض الآخر إلى حوالي سنة 524هـ/1130م أين أنشئت أول مدرسة للترجمة في طليلطة برئاسة ريهموند، وتواصلت الجهود حتى بلغ ما ترجموه أكثر من ثلاثمائة كتاب من أمهات الكتب العربية في العلوم والآداب (الزيات، 1912)

في حين يرى رودي بارت أن البداية الفعلية للدراسات الإسلامية والعربية في أوربا يعود إلى القرن الثاني عشر ميلادي، والتي تمت فيه لأول مرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية سنة 542هـ/1147م، كما ظهر أيضا في هذا القرن أول قاموس لاتيني عربي (بارت، د ت، صفحة 30)

كما زعم آخرون أن الحروب الصليبية هي البداية الفعلية للاستشراق أين بدأ الاحتكاك الفعلي السياسي والديني بين الإسلام والنصرانية (فوزي، 1998، صفحة 30)، فيؤرخ الغرب الأوروبي للبداية الرسمية للاستشراق سنة 712هـ/1312م بانعقاد مجمع فيينا الكنسي، والذي أقر بإنشاء عدد من أقسام وصفوف لدراسة اللغة العربية والعبرانية والربانية والكلدانية في عدد من الجامعات الأوروبية في جامعة باريس وأكسفودوسلاننيكاوبولونيا (الدعمي، 2006)

وقد تأسس الاستشراق بوصفه مؤسسة فكرية بعد فشل الحروب الصليبية، وهنا تعززت قناعة رجال الكنيسة والسياسة في الغرب بأن العالم الإسلامي لا يمكن اخضاعه بالقوة لهذا لجأوا إلى أسلوب دراسة أحوال المسلمين حتى تسهل السيطرة عليه، فكانت الحركة الاستشراقية نابعة من العلاقة بين الكنيسة والسلطة في الغرب، فتأسست المعاهد ومراكز الدراسات والبحوث لتشكل خلايا متشابكة تخدم غرضا واحدا هو ضمان استمرار سيطرة الغرب على الشرق(الله ر.، 2014)

إذن فالمستشرقون هم جماعة من المفكرين الغربيين المتخصصين في دراسة شؤون الشرق وأحوال الأمم فيها وعاداتها وعلومها وأديانها، بالإضافة إلى افتتان هؤلاء بسحر الشرق وجماله وحب الاكتشاف والمعرفة الأمر الذي دفع المستشرقين إلى الوفود إلى الشرق والاطلاع على كل شي فيه، فبدايات الاستشراق بدأت تظهر بشكل فردي وتدريجي من طرف أفراد أوربيين ورهبان ورجال دين ومعاصرين استهوتهم الدراسات الشرقية وأحلام الشرق، إلا أنه تطور وأسست له المدارس والمعاهد والمؤتمرات والندوات وأصبح تحت مضلة الاستشراق الجندي، العالم، الباحث، الطالب، والسائح(براهيم، 2004)

المحور الثالث :دوافع الاستشراق:

إن الأسباب والدوافع الحقيقة للاستشراق اختلفت وارتبطت حسب ظروف المستشرق المختلفة سواء كانت بشخص المستشرق نفسه، أو كانت بحسب ظروف المستشرق المختلفة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، ومن أهم الدوافع والأسباب للحركة الاستشراقية حسب وجهة نظر الباحثين والمؤرخين نذكر:

أولا ــ الدافع الديني: يمثل الدافع الديني السبب الرئيسي لنشأة الاستشراق لأن طلائع المستشرقين كانوا من الرهبان والقساوسة خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر ميلادي، وإن الباعث وراء توجه الكنيسة ورهبانها لدراسة علوم المسلمين ولغتهم هو العداء الديني وتخوف الغرب من انتشار الإسلام وانحسار المسيحية (محمد، 2000).

وقد عمل بعض المبشرين عيونا لبلادهم التي تعمل بشتى الطرق لإثارة الفتن والاضطرابات من أجل تمكين دولهم الأوروبية من السيطرة على العالم العربي الإسلامي سياسيا واقتصاديا (فوزي، 1998)

فقد أدرك الغرب أن الإسلام يمثل تهديداً حقيقياً للنصرانية ،فأخذوا يؤلفون ويكتبون عن الإسلام بروح متعصبة وحاقدة وذلك لتشوية صورة الإسلام لدى ا لأوروبين حتى لايعتنقوا الدين الإسلامي، وأيضاً لدافع التبشير فقد قاموا بأعمال وحركات تبشيرية بينهم ، وبذلوا ما بوسعهم لجعل المسلمين يتركون الإسلام أو ترك تعاليم دينهم وتطبيقيها، فلهذا

الدافع أقبل المستشرقون علي تعلم اللغة العربية ل تساعدهم علي قراءة العلوم الإسلامية وليعرفوا مبادئ الإسلام ومصادره وذلك لوضع الخطط والأهداف لهدم الدين ولتشكيك المسلمين في دينهم، فالدافع الديني هو السبب الرئيسي المباشر الذي دفع الأروبيين إلى الاستشراق فقد تركت الحروب الصليبية في نفوسهم آثار عميقة، بالإضافة إلى رغبة النصارى في الدعوة إلى دينهم بين المسلمين فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامي (العقل، 1992).

ومع مرور الوقت واصلت الكنيسة اهتمامها بالاستشراق وتعالت في أوربا صيحات رهبانهم ومفكريهم إلى نقل المعركة إلى حقل الفكر والمعرفة ومن أمثلة ذلك دعوة القديس بطرس إلى ترجمة القرآن الكريم، حيث كشف عن هدفه من ذلك بقوله:" إن القرآن منبع الزندقات وسبب الحركات الهدامة التي تهدد كيان المسيحية فإذا أريد القضاء عليه فلا بد من دراسته والدعوة إلى أنه كتاب تعارض وتضارب وتناقض وأن فيه ما يرفضه العقل" (العقل، 1992، صفحة 178)

كما ظهرت الدعوة أيضا على يد الفيلسوف روجربيكون والذي وجه رسالة إلى البابا سنة 1266ماقترح فيها بضرورة إدخال اللغة العربية في مناهج الدراسات الجامعية، ودراسة الطرق التي يمكن النفاذ منها إلى عقيدة المسلمين لهدمها وتقويضها (العقل، 1992، صفحة 178– 179)

وتنفيذا لكل هذه الدعوات كانت البداية الرسمية من مجمع فيينا الكنسي سنة 712هـ/ 1312م حيث قرر هذا المجمع الديني إدخال اللغة العربية إلى جامعات أوروبا المشهورة، حيث كان الغرض الفعلي للاستشراق تنصيريا وكنسيا، فقد كان علماء الكنيسة أول من درس اللغة العربية ومن ثمة العقيدة الإسلامية للوقوف على عقائد المسلمين ولم يكن هدفهم علميا محظا بل أنهم أرادوا الرد على الإسلام والتبشير بين المسلمين ودعوتهم إلى المسيحية بعد أن ترجموا الإنجيل إلى العربية (سري، 2006)

وبتأسيس هذه المراكز العلمية في أوربا أصبحت هذه الحملات التشويهية أكثر تنظيما ودقة وبالتالي أكثر تأثيرا على المجتمع الأوروبي ومثقفيه، كما ظهرت في أوساط الكنيسة في أوربا حركة تدعو إلى الاستزادة من معرفة تاريخ الإسلام وعقيدته (فوزي، 1998).

وبعد اختراع الطباعة في القرن السادس عشر بالحروف العربية سنة 994هـ/1586م، كان لها دورا كبيرا في دفع حركة الاستشراق إلى الأمام، فتحركت الدوائر العلمية وأخذت تصدر الكتب كتابا بعد آخر، وقد كان من بين الكتب الأولى التي طبعت نص عربي للأناجيل الأربعة سنة 1590م، ثم تتابع انتشار المطابع العربية في الدول الأوروبية،

وانتشرت طباعة الكتب العربية المختلفة من بينها مؤلفات ابن رشد وابن سينا في الفلسفة والطب وغيرها من العلوم العربية وآدابها (الشيال، 1986)

وكان الغرض من إنشاء هذه المطابع هو تحقيق هدفين: الأول هو التبشير عن طريق نشر الكتاب المقدس في البلاد الإسلامية، والثاني هو تحقيق مزيد من التقارب بين الكنيستين الشرقية والغربية (الشيال، 1986، صفحة 90)

وقد بدأ المستشرقون خلال القرن السابع عشر الميلادي في جمع المخطوطات الإسلامية إما بشرائها من أصحابها الذين لا يعرفون قيمتها وإما بسرقتها من المكتبات العامة، كما أنشأت أقسام لتعليم العربية في جامعة كمبردج عام 1636م بليدن، كما أسس أوربان الثامن في روما عام 1628م كلية للدعاية، وفتح ادوارد بوكوك قسما للعربية في أكسفورد عام 1638 م، وقد ساهمت هذه المعاهد في انطلاق حركة الاستشراق وازدياد أهمية العاملين بها (سمايلوفتش، 1998م، صفحة 78)

إن الدافع الديني التنصيري ظل هو المسيطر على الحركة الاستشراقية الأوروبية طوال القرن 17 و 18 من خلال إسناد معاهد اللغة العربية في الجامعات الأوروبية وكتابات بعض المستشرقين التشويهية للإسلام ولرسوله ، ومن أشهر المستشرقين المشتغلين بالتبشير نذكر صموئيل زويمر (1867– 1952م)، هنري لامانس (1862– 1937م)، جان جانية (1670 – 1740م)، وغيرهم كثير، إلى جانب دور المستشرقين اليهود الذين أقبلوا على الاستشراق للتشكيك في الإسلام ولإثبات فضل اليهودية عليه والادعاء أن اليهودية هي مصدر الإسلام الأول، وقد برز العديد من المستشرقين اليهود الذين كانت دراستهم متحاملة على الإسلام نذكر منهم جولد تسهز (1850– 1921)، يوسف شاخت (1902– 1969)وغوستاف جرونباوم(1909– 1972)(زقزوق، 1982)

ومنه نستنتج أن السبب الرئيسي الذي دعا الأوربيين إلى الاستشراق هي الدوافع الدينية، كما أن الدوافع الدينية حملت في طياتها أهداف وغايات مختلفة، وعلى الرغم من ذلك ظل هدفها الرئيس عبر العصور واحدا ألا وهو مواجهة الإسلام والهجوم عليه.

ثانيا- الدافع الاستعماري:

يعد هو الآخر من أهم الدوافع للحركة الاستشراقية، وهو الهدف الأسمى لإلغاء كل قوة يظن الغرب أنها من الممكن أن تؤخر سيرها إلى مطامعها الصليبية أو الاقتصادية، فقد اتجه الغرب إلي الاستشراق لخدمة الهدف الإستعماري للعالم الإسلامي، فقد عبر المستشرق الهولندي سنوكهرجرونجة عن ضرورة الاستشراق للاستعماربقوله: " إن

الشريعة الإسلامية موضوع مهم للدراسات الاستشراقية، ليس فقط لأسباب تجريدية نظرية متعلقة بتأريخ القانون الحضاري والدين، ولكن لأهداف عملية: ذلك أنه كلما توثقت العلاقات بين أوروبا والشرق الإسلامي، وكلما زاد عدد البلاد الإسلامية التي تقع تحت السيادة الأوروبية كلما زادت الأهمية بالنسبة لنا نحن الأوربيين لنتعرف على الحياة الفكرية وعلى الشريعة وعلى خلفية المفاهيم الإسلامية" (الجفن، د ت).

وقد عرف الاستشراق تطورا وازدهارا كبيرين بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أثناء موجة الاستعمار الغربي الذي شملت العالم الإسلامي كله تقريبا ، حيث توسعت مؤسساته وتنوعت اختصاصاته وكثرت مؤتمراته ونظمت جمعياته بعدما صار تحت رعاية الدول الأوروبية الاستعمارية التي دعمته بالمال والتسهيلات اللازمة لنشر الأبحاث وإنجاز الدراسات في البلدان المستعمرة (سعيد، 1955)

وقد لعب المستشرقون دور كبير في نقل وتوصيل المعلومات عن العالم الإسلامي مثل جغرافيته وأماكن قوته ونقاط ضعفه وأديانه،ولغاتهوعن شعوبه لتضع الحركة الاستعمارية الخطط الناجحة التي تمكنه من احتلال هذه البلدان (محمد ا.، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل: مدخل علمي لدراسة الاستشراق، 2000).

ومن أفضل الأمثلة على ذلك الدور الذي لعبه المستشرقون الفرنسيون لمساعدة بلادهم في احتلال الجزائر، ومنهم المستشرق الكبير الذي يطلق عليه أبو الاستشراق سلفستر دي ساسي 1757– 1838 م الذي عمل سنوات طويلة في وزارة الاستشراق مرتبطا منذ البداية بإدارة الاحتلال الفرنسي ارتباطا سياسيا مدعوم من قبل لجنة افريقيا الفرنسية التي كان مقرها باريس ومن قبل كبار الكولون والجامعات الفرنسية (الله، 2007).

كما أن الاستعمار عمل على تعزيز موقف الاستشراق وجند طائفة كبيرة من المستشرقين لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه، وهكذا كانت صلة وثيقة بين الاستشراق والاستعمار، ولقد عمل بعض المستشرقين كمستشارين لوزارات الخارجية لدولهم وكقناصلة وجواسيس على المسلمين (الأمين، 1997).

فالعلاقة والصلة بين الاستشراق والاستعمار عميقة لها جذورها ورابطة تاريخية ذات مصالح وأهداف مشتركة، فقد سعى الاستشراق إلى تشكيك المسلمين في قيمهم وأهدافهم ومبادئهم ومعتقداتهم، ولما كان المساس بهذه الأصول والمقومات من الأمور السهلة، ولا تجد أدنى استنكار كان من السهل والطبيعي أن تفتح أبواب البلاد الإسلامية على مصرعيها أمام الاستعمار وثقافته(الأشرف، 1437هـ/1438م، صفحة 18)

ثالثا ـ الدافع العلمي:

كان هذا الدافع أيضا من بين أهم الأسباب المباشرة لنشأة الاستشراق، فقد رأى الغربيون أنهم لن يستطيعوا التغلب على المسلمين وتحقيق التقدم إلا بتعلم علومهم ونقل تراثهم، فقد أقبلت فئة من العلماء منذ أواخر القرن 11هـ/ 17م على اللغة العربية والتتلمذ على أيدي العلماء المسلمين بدافع حب الاطلاع والبحث والتمحيص في حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها، وخاصة دراسة الدين الإسلامي والتراث العربي الإسلامي، وترجمة علوم وآداب المسلمين إلى مختلف اللهجات الأوروبية، وأصبحت تدرس في جامعاتها الكبرى لعدة قرون بعد ذلك خاصة في الفلسفة والطب والرياضيات (محمد ا.، 2000، صفحة 40)

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر اكتسب الاستشراق الموضوعية العلمية من طرف فئة قليلة من المستشرقين الذين اهتموا بالدراسات العربية والإسلامية بدافع حب العلم والمعرفة والإعجاب بعلوم المسلمين، وهؤلاء كانوا أقل خطأ في فهم الإسلام وتراثه لأنهم لم يعتمدوا الدس والتحريف فكانت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم (الأعسم، 1987، صفحة 15).

ومن أهم الخدمات العلمية التي قدمها المستشرقون جمعهم للمخطوطات العربية وحفظها وفهرستها بل قاموا أيضا بتحقيقها، وقابلوا النسخ المختلفة ولاحظوا الفروق وأثبتوها ورجحوا ما حسبوه صحيحا وأضافوا إلى ذلك الفهارس الخاصة بالأعلام والموضوعات، كما كتبوا مقدمات صحيحة فيها دراسة وتقديم لكتبهم (زقزوق، 1982، صفحة 65)

وفي الحقيقة يعد هذا العمل من أهم الأعمال التي أنجزها المستشرقون وأجلها نظرا للفائدة العلمية الكبيرة التي عادت على الباحثين سواء في الغرب أو في الشرق ، ومن أهم الكتب التي قاموا بتحقيقها ونشرها نذكر منها: المغازي للواقدي،سيرة ابن هشام،تاريخ الطبري، كتاب سبويه، الملل والنحل للشهرستاني، تفسير البيضاوي وغيرها (زقزوق، 1982، صفحة 65).

ولم يكتف نشاط المستشرقين على تحقيق المخطوطات ونشرها بل قاموا بترجمتها من العربية إلى اللاتينية فترة العصور الوسطى، ثم باقي اللغات الأوروبية، وأول ما عني به المستشرقون بترجمته هو ترجمة القرآن الكريم، ثم شملت الترجمة كتب الفلسفة والطب

والرياضيات والفلك والكيمياء وغيرها من علوم المسلمين وآدابهم (زقزوق، 1982، صفحة 78)

وقد أدى هذا السبب ببعض المستشرقين إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه من أمثلة ذلك نذكر المستشرق الفرنسي ألفونسو إتيان دينيه1861– 1929م الذي أسلم وعاش بالجزائر وغير اسمه إلى ناصر الدين دنية، وألف كتاب أشعة خاصة بنور الإسلام كما ألف مع سليمان إبراهيم الجزائري كتاب بعنوان تأريخ للرسول صلى الله عليه وسلم إنك في واد ونحن في واد ردا على المستشرقين، وقد توفي بفرنسا ونقل جثمانه إلى بوسعادة بالجزائر (السباعي، 1979)، والمستشرق الانجليوي جون فليبي، واالوردهيدلي، والشاعر الألماني الكبير جونيه ، والدكتور جرينيه الذي كان عضو في مجلس النواب الفرنسي وغيرهم (محمد ا.، 2000، صفحة 40)

غير أن هذا الدافع رفضه عدد من الباحثين العرب، وعارضوا أن يكون السبب وراء الحركة الاستشراقية في هذه الفترة هو الوصول إلى الحقائق المجهولة بطرق علمية بحثة وموضوعية، ويستدلون على هذا الرأي على الدراسات والأبحاث التي نشرها المستشرقون والتي كانت في معظمها مشوهة للإسلام وتراث المسلمين (الندوي، 1987)

رابعا :الدافع الاقتصادي والتجاري:يرى آخرون أن الحركة الاستشراقية كانت بدافع اقتصادي حيث رغبت المستعمرات في غزو البلاد الإسلامية اقتصاديا بهدف الاستيلاء على الخيرات والثروات الطبيعية للمنطقة، وكذلك مؤسساتها الاقتصادية، كما سعت أن تكون البلاد الإسلامية ميدانا خصبا للمنتوجات الغربية (زقزوق، 1982، صفحة 38).

لهذا شجعوا الدراسات الاستشراقية للكشف عن طبيعة العقلية العربية وكيفية التعامل معها، وقد خدم الاستشراق الناحية الاقتصادية خدمة عظيمة، حيث ساعده في احياء النهضة الصناعية في أوربا، فالدافع الاقتصادي كان من الدوافع التي كان لها أثرا في تنشيط الاستشراق، لهذا رغب الغرب في التعامل مع الشرق لترويج بضائعهم وشرائهم لمواردنا قاموا بقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين(الأشرف، 1437هـ/1438م، صفحة 20)

لقد رغبت الدول الأوربيية دائما في تنشيط تجارتها مع دول الشرق الإسلامي وتسويق منتجاتها والبحث عن مواد خام لصناعتها ، فجاء هذا الدافع ل تتعرف على الشرق وطبيعته وموارده وثرواته وخيراته لتوظيفهفي خدمة الهدف الاقتصادي، فللدافع التجاري كان من الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الإستشراق ، ورغبة الغربيين في التعامل مع العالم الإسلامي لترويج بضائعهم وشراء موارد ه الطبيعية الخام بأبخس الأثمان ولقتل صناعتق المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين(العقل، 1992)

خاتمة:

من خلال حصاد الفقرات السابقة يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

ـ التباين والاختلاف في ضبط المفاهيم والتعاريف المتعلقة بالاستشراق وذلك راجع لوجهات النظر المختلفة للمسلمين والغربيين أنفسهم

ـ أنه بالرغم من التباين في تحديد مفهوم الاستشراق بصورة ثابتة إلا أن المدلول الشامل لهذا المفهوم هو دراسة الشرق ومعرفته، وهو الجامع المشترك في كل الآراء التي تناقلت الاستشراق وتبينت معطياته ومجالاته.

ـ أن البدايات الأولى للاستشراق كانت على يد الرهبان والكنيسة منذ القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي، وكان الهدف منه هو دراسةالدين الإسلامي والتعرف على علوم المسلمين للحد من انتشاره بين المسيحيين لهذا ركزوا على دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والتاريخ الإسلامي

ـ أن دوافع هذه الحركة متنوعة ومختلفة، والأهم هو الدافع الديني، وكان من نتيجة ذلك القيام بتحريك كل الطاقات الصليبية العلمية والسياسية والعسكرية والثقافية

ـ أن الدافع الاستعماري هو الهدف الأسمى للمستشرقين لإلغاء كل قوة من وجهة نظرهم أنها من الممكن أن تؤخر سيرها إلى مطامعها الاستعمارية .

ـ كان الدافع العلمي أيضا من بين أهم الأسباب المباشرة لنشأة الاستشراق، فقد رأى الغربيون أنهم لن يستطيعوا التغلب على المسلمين وتحقيق التقدم إلا بتعلم علومهم ونقل تراثهم.

ـ أن الحركة الاستشراقية كانت أيضا بدافع اقتصادي حيث رغبت المستعمرات في غزو البلاد الإسلامية اقتصاديا بهدف الاستيلاء على الخيرات والثروات الطبيعية للمنطقة.

قائمة المصادر والمراجع:

1ـ أحمد سمايلوقتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، 2001

2ـ ادوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للاستشراق، ترجمة محمد عنابي، رؤية للنشر، القاهرة، 1995

3ـ إسحاق موسى الجسني، الاستشراق، نشأته وتطوره،مطبعة الأزهر، القاهرة، ج 1 (2000)، 1997

4ـ صالح حمد حسن الأشرف، الاستشراق مفهومه وآثاره، شبكة الألوكة، 1437ـ 1438هـ

5ـ عبير أحمد فاضل الثقفي، لمجة عن الحركة الاستشراقية ووسائلها وأهدافها، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية،

6ـ رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية: المستشرقون الألمان منذ تيودور إنولدكه، دار الكتاب العربي، بيروت، دت

7ـ فاروق عمر فوزي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي: القرون الإسلامية الأولى دراسة مقارنة بين وجهة النظر الأوروبية، الأهلية، الأردن، 1998

8ـ ضياء الدين ساردار، الاستشراق صورة الشرق والآداب والمعارف العربية، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الإمارات، 2011

9ـ محمد قدور تاج،الاستشراق ماهيته فلسفته ومناهجه، مكتبة المجتمع العربي، عمان، 2014

10ـ محمد كامل عبادة، صفحات من تاريخ الاستشراق، 1960

11ـ أحمد الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة العربية، مصر،1912

12ـ محمد الدعمي، الاستشراق والاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006

13ـ رائد أمير عبد الله، المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، 2014

14ـ الطيب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع، الجزائر، 2004

15ـ عبد الله يوسف سهر محمد، مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين، مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية، الإمارات، 2000

16ـ ناصر بن عبد الله القفاري و ناصر بن عبد الكريم العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة،دار الصميعي للنشر، الرياض، 1992

17ـ طارق سري،المستشرقون ومنهج التزويد والتلقين في التراث الإسلامي،مكتبة النافدة، مكتبة النافذة، مصر، 2006

18ـ جمال الدين الشيال، التاريخ الإسلامي وأثره في الفكر التاريخي الأوروبي في عصر النهضة،دار الثقافة للمطالعة، بيروت، 1986

19ـ محمد حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، 1982

20ـ عبد الرحمن بن عبد العزيز الجفن، الاستشراق: النشأة والدوافع، د ت

21ـ اسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل: مدخل علمي لدراسة الاستشراق، الكلمة للنشر، المنصورة، 2000

22ـ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2007

23ـ نعيم عبد الله الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السودان، 1997

24ـ صالح حمد حسن الأشرف، الاستشراق مفهومه وآثاره، شبكة الألوكة، 1437هـ/1438م

25ـ حنور عبد الأمير الأعسم، الاستشراق الفلسفي وانتقال العربية إلى اللاتينية في العصر الوسيط، مجلة الاستشراق، 1987

26ـ محمد حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، 1982

27ـ أبو حسن علي الحسني الندوي، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987

28ـ ابن منظور، لسان العرب، دائرة المعارف، القاهرة، دت

29ـ أحمد مختاري، معجم اللغة العربية، دار الكتاب، مصر، 2008

30ـ أحمد رضا، معجم متن اللغة: موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1954

المراجع الأجنبية

1–Magor, Laraoussesuper ,Dictionnaire encyclopedique ,Paris ,2006

2–Edward Said, Orientalisme,Vin Tage books,New York, 1979